

"إسهامات مكّي بن أبي طالب القيسلي، في الدرس الصوتي والقرآني، من خلال كتابي الرعاية والكشف"

د(ة). غنية بوحوش

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل - الجزائر

ملخص:

تناول هذا البحث علما، من كبار أعلام المدرسة المغاربية، التي جمعت بين الدرس اللغوي، والدرس القرآني، وهو مكّي بن أبي طالب، واحد ممن رسخت قدمه في علوم اللغة، والقرآن، صاحب التصانيف الكثيرة، والإسهامات العديدة، فيهما، التي حوت تعليقات وملحوظات علمية دقيقة، أثرى بها الدرس اللغوي، والقرآني، وهي جديرة بالبيان، والاقتداء، والتخليد.

كلمات مفتاحية: إسهامات - مكّي بن أبي طالب - الدرس الصوتي - الدرس القرآني - الرعاية - الكشف.

Abstract:

This study takes as a subject a prominent Maghreb scholar who brought together the Quranic and the linguistic research, Makki ibn Abi Talib, who was one of the most prominent expert both in Quranic and linguistics sciences, and the writer of many books and various contributions that contained scientifically accurate justifications and notes. His works has enriched the Quranic and linguistic studies so much that they are worth mentioned, clarified and praised.

Key words: Contributions ; Makki ibn Abi Tali ; phonetics ; Quranic lesson ; revelation.

مقدم:

إن أصالة وثناء المدرسة المغاربية في اللغة العربية، والدراسات القرآنية؛
ظاهران غير خفيين، وهذا مقال، أقدم فيه علما من أعلام اللغة، وعلومها، والقرآن،
وعلومه، وهو مكّي بن أبي طالب، الذي اخترته دون غيره، لما لمست عنده من
دقة المعلومات، وكثرة الإضافات العلمية الهامة، على المستوى اللغوي، والقرآني،
محاولةً من خلاله - المقال - بيان ذلك وإجلائه، اعتمادا على كتابين له، هما
الأهم على الإطلاق في بابهما:

الأول: كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مؤلف في علم
التجويد.

والثاني: كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مصنف
في توجيه القراءات السبع.

وكل منهما يعد إماما، في مجاله، واجتهدت أن أقف من خلالهما على
منهجه الصوتي والقرآني، فيهما، وكذا أهم الإسهامات التي أثرى بها الدرس اللغوي
عموما والصوتي خصوصا، وكذا الدرس القرآني عامة، وتوجيه القراءات خاصة.

وحاولت أن أجيب عن تساؤل مهم، هو: هل تمتع مكّي بن أبي طالب
بشخصية علمية مستقلة مكنته من الإضافة والإثراء، أم اكتفى بترديد ما سبق
إليه غيره؟ وتوسلت لذلك بأداة الاستقراء، المردف بالتحليل. عسى أن أكون قد
اقتربت من الغاية. وكان ذلك في مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بمكي بن أبي طالب القيسي ومصنفاته

المطلب الأول: ترجمة مكي بن أبي طالب⁽¹⁾

هو أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي، القيرواني مولداً، القرطبي منزلاً، الإمام العلامة، المحقق، العارف، المتبحر في علوم القرآن والعربية، أستاذ القراء والمجودين، والعالم بمعاني القراءات، ووجوهاً وعلماً.

أخذ العلم عن كبار علماء عصره، وأخذ عنه خلق كثير.

ولد مكي بالقيروان في الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة هجرية، وتردد لطلب العلم باكراً بين القيروان، مصر والحجاز، واستقر به المقام في الأندلس. مات في رجب سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

المطلب الثاني: التعريف بمصنفات مكي بن أبي طالب

لمكي بن أبي طالب إسهامات ومشاركات في علوم عديدة، حفظتها تصانيفه المختلفة التي ربت عن الثمانين، وهي من الأهمية العلمية بمكان، جعلتها موضع عناية المتقدمين، واهتمام البَحَثَة والدارسين⁽²⁾، وأهمها:

⁽¹⁾ محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان؛ ط 3 سنة 1402 هـ / 1982 م، ج 2 ص 310.

⁽²⁾ اتخذ بَحَثَة كثيرون، في جامعات مختلفة في العالم، مؤلفات مكي بن أبي طالب موضوعاً لدراساتهم المنهجية، كما جعلته هيئات علمية ودراسية موضوعاً لملتقيات، آخرها - فيما أعلم -، ندوة نظمها مركز

التبصرة في القراءات، الرعاية لتجويد القراءة، الكشف عن وجوه القراءات وعللها، الرسالة إلى أصحاب الأنطاكي في تصحيح المد لورش، الإبانة عن معاني القراءة...

المبحث الثالث: إسهامات مكّي بن أبي طالب في الدرس الصوتي والقرآني

المطلب الأول: إسهامات مكّي بن أبي طالب في الدرس الصوتي

لمكي بن أبي طالب إسهامات جلية في الدرس الصوتي - أجلتها تصنيفاته العديدة المذكور بعضها أعلاه، وفي الآتي، عرض ما تيسر منها - الإسهامات:-

أولاً: ربط العلم بالمعتقد، والمعارف بالقيم:

وهو أمر من الأهمية بمكان، فلا خير ولا بركة في علم مقطوع الصلة بالله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ سورة العلق الآية 01، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ سورة محمد من الآية 19، فغاية ما ينبغي أن يبلغه المرء بعلمه - باختلاف فروعه -، هو معرفة الله تعالى، حق المعرفة، وما ينتج عن ذلك من الخشية والورع والاستقامة والإنابة والاستغفار، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ سورة فاطر

الدراسات الإسلامية بالقيروان - تونس، بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته، عنوانها: " جهود مكّي بن أبي طالب القيسي القيرواني في خدمة القرآن وعلومه "، يومي 16/15 نوفمبر 2016.

الآية 28. ونلاحظ هذا الاتجاه عند **مكي بن أبي طالب** في قوله: "وإني لما رأيت هذه الحكمة البديعة والقدرة العظيمة في هذه الحروف التي نظمت ألفاظ كتاب الله جل ذكره [...]، قويت نيتي في تأليف هذا الكتاب وجمعه في تفسير الحروف ومخارجها، وصفاتها وألقابها، [...]، واتصال بعضها ببعض، ومناسبة بعضها لبعض، ومباينة بعضها لبعض، ليكون الوقوف على معرفة ذلك عبرة في لطف قدرة الله الكريم، وعونا لأهل تلاوة القرآن على تجويد ألفاظه وإحكام النطق به..."⁽¹⁾، فلنتأمل كيف جعل مكي الوقوف على أسرار الأصوات اللغوية سبيلا لمعرفة قدرة الله تعالى، وأن ذلك مقصد من مقاصد تأليف كتاب الرعاية، وقال رحمه الله تعالى، في موضع آخر: "ورتب تبارك وتعالى اسمه لها مخارج تخرج منها عند النطق بها من آخر الصدر الأعلى وما يليه من الحلق والفم إلى أطراف الشفتين وإلى الخياشيم، لا يخرج حرف من مخرج غير مخرجه إلا بتغير لفظه، ولا يتعدى كل حرف عند النطق به عن مخرجه ورتبته التي أنزله الله فيها، وجعل جل ذكره منها القوي في مخرجه والضعيف كما جعل في مخلوقاته، وجعل منها المشبه لغيره من الحروف والبعيد الشبه من غيره، كما فعل في مخلوقاته"⁽²⁾، فهو رحمة الله عليه، لم يكتف بذكر اختلاف الأصوات اللغوية مخرجا وصفة؛ كما هو الشأن في كتب الدرس الصوتي، إنما نسب ذلك للخالق جل شأنه، مذكرا بعظمته

⁽¹⁾ مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، دار الصحابة للتراث، طنطا _

مصر، ط سنة 1422 هـ / 2002 م، ص 4.

⁽²⁾ مكي، الرعاية، ص 3 - 4.

سبحانه وقدرته في الخلق، وحكمته في ذلك. وقال في موضع آخر: " يجب على طالب القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة، والصيانة والفهم في علوم القرآن والنفاذ في علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم"⁽¹⁾، فلننظر كيف اشترط في طلب القرآن وأدائه الديانة (الدين والورع)، وإتقان علوم القرآن والعربية التي عبر عنها بـ: "الصيانة"، وقدم الديانة عليها، إذ لا خير البتة في علم وإتقان من دون ورع واستقامة.

ثانيا: فضيلة السبق في فصل درس التجويد عن الدرس العام

لمكي بن أبي طالب فضيلة السبق إلى استلال مباحث التجويد من كتب اللغة وعلم القراءات، وجمعها في مؤلف مستقل، قال رحمه الله تعالى: " وما علمت أن أحدا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها، ولا إلى لما أتبعته فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى، والتنبيه على تجويد لفظه والتحفظ به عند تلاوته"⁽²⁾.

وهو رحمة الله عليه، لم ينل فضل السبق فحسب، بل كان ما استله ذا قيمة علمية عظيمة في نفسه، ممتدة في الزمن، وهي قيمة وثق صاحبها بها، قال: " فمن ائتم بكتابي هذا في تجويد ألفاظه وتحقيق تلاوته، ممن سلم من اللحن

⁽¹⁾ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 5.

والخطأ، وضبط روايته التي يقرأ بها، قام له هذا الكتاب على تقادم الأعصار
ومرور الأزمان مقام المقرئ الناقد البصير الماهر النحرير⁽¹⁾.

ثالثاً: بيان أهمية الأصوات اللغوية في التواصل والدلالة على المعاني

ثمة فرق جليّ بين سائر الأصوات والأصوات اللغوية، فبهذه الأخيرة تفهم
المعاني، وتدرك المقاصد، قال مكي رحمه الله تعالى: " فهذه التسعة والعشرون
الحروف المذكورة، عظيمة القدر، جليلة الخطر لأن بها أفهمنا الله كتبه كلها، وبها
يعرف التوحيد ويفهم، وبها افتتح الله عامة السور، وبها أقسم، وبها نزلت أسماؤه
وصفاته، وبها قامت حجة الله على خلقه وبها تعقل الأشياء وتفهم الفرائض
والأحكام، وغير ذلك من شرفها كثير لا يحصى⁽²⁾.

رابعاً: تسمية الأصوات اللغوية " الصوامت " بالحروف، والصوائت بالحركات:

سمى علماء القراءات والتجويد، - ومنهم مكي -، الأصوات اللغوية،
بالحروف، جاء في الرعاية: "الحروف التي يؤلف منها الكلام تسعة وعشرون
حرفاً...⁽³⁾"، في حين سمو الصوائت " حركاتٍ "، قال مكي: "باب معرفة ما
السابق من الحروف والحركات وعلل ذلك"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ مكي، الرعاية، ص 5.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 24.

⁽³⁾ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 28.

خامسا: ذكر مخارج الحروف وصفاتها وتلقيبها بحسب ذلك

أطلق علماء القراءات والتجويد - ومنهم مكّي بن أبي طالب - على الموضوع الذي ينشأ ويولد منه الصوت اللغوي مصطلح: " **المخرج** "، وبينوها ووزعوا الحروف عليها، ولقبوها وفق تلك المخارج، كما لقبوها نسبة لصفاتها، قال **مكي**: " الحروف... لها مخارج تخرج منها عند النطق بها من آخر الصدر الأعلى وما يليه من الحلق والفم إلى أطراف الشفتين وإلى الخياشيم، لا يخرج حرف من مخرج غير مخرجه إلا بتغير لفظه "(1).

وقال **مكي** في موضع آخر: " باب صفات الحروف وألقابها وعللها "(2).

وأفرغ **مكي** رحمه الله تعالى الوسع في التعرف إلى صفات الحروف وأسرارها، ومن ثمّ بيانها، قال رحمه الله: " لم أزل أتتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها، حتى وجدت من ذلك أربعة وأربعين لقبا... وهذه الصفات والألقاب إنما هي طبائع في الحروف خلقها الله عز وجل على ذلك،... "(3).

سادسا: التأكيد على تمييز الأصوات مخرجا وصفة

تمتع **مكي بن أبي طالب** رحمه الله تعالى بحس لغوي مرهف، مكنه من تمييز مخارج الأصوات اللغوية، ومعرفة مراتبها قوة وضعفا، وما ينتج عن إهمال

(1) المرجع نفسه، ص 3.

(2) المرجع نفسه، ص 36.

(3) مكي، الرعاية، ص 36 ... 48.

ذلك من تغيير اللفظ وتلبيس المعنى، وممكنه أيضا من لحظ القرابة الصوتية بين الحروف مخرجا وصفة. قال رحمه الله تعالى: "ورتب تبارك وتعالى اسمه لها مخارج تخرج منها عند النطق بها من آخر الصدر الأعلى وما يليه من الحلق والقم إلى أطراف الشفتين وإلى الخياشيم، لا يخرج حرف من مخرج غير مخرجه إلا بتغير لفظه، ولا يتعدى كل حرف عند النطق به عن مخرجه ورتبته التي أنزله الله فيها وجعل جل ذكره منها القوي في مخرجه والضعيف كما جعل في مخلوقاته، وجعل منها المشبه لغيره من الحروف والبعيد الشبه من غيره، كما فعل في مخلوقاته" (1).

سابعا: التمييز بين الهمزة والألف

تُوزَع في طبيعة الهمزة وعلاقتها بالألف إلى ثلاثة مذاهب هي:

الأول: الهمزة علم على حرف من حروف اللغة العربية قائم بذاته، مستقل المخرج والصفات، فأما المخرج: فأقصى الحلق، وأما صفاته: فالشدة والجهر، والاستقلال والانفتاح والإصمات.

وإلى هذا ذهب إمام النحو سييويه، حيث قال: " الهمزة حرف كالعين يحتمل الحركة والسكون ويكون في أول الكلمة وآخرها ووسطها والألف حرف آخر لا

(1) المرجع نفسه، ص 3 - 4.

يكون إلا ساكنا ولا يكون في أول الكلمة ولذلك وضع واضع حروف المعجم الهمزة أول الحروف والألف مع اللام قبل الياء⁽¹⁾.

الثاني: الهمزة أصل الألف

يرى أصحاب هذا المذهب أن الهمزة والألف حرف واحد، وإن اختلفا مخرجا وصفة وهو مذهب ابن جني والفرّاء، ويقول هذا الأخير: " الهمزة هي الأصل والألف الساكنة هي الهمزة، ترك همزها "⁽²⁾، ويقدم ابن جني دليلين على ما ذهب إليه هما:

1- الهمزة المحققة لا تكتب إلا ألفا سواء تحركت بالفتح أو الضم أو الكسر، وسواء وقعت أول الكلمة أو وسطها أو آخرها نحو: أخذ، سأل، صبأ...

2- كل حرف سمّيته ففي أول حرف تسميته لفظه بعينه، فإذا قلت جيم، فأول الحرف جيم "⁽³⁾.

الثالث: الهمزة وظيفة نطقية عامة

يرى أصحاب هذا المذهب أن الهمز ليس علما على صوت عربي خاص، بل هو وصف لكيفية نطقية عامة، وهو رأي عبد الصبور شاهين إذ

⁽¹⁾ محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان، د ط د ت، ج 1 ص 2187.

⁽²⁾ حاشية الصبان، الصفحة نفسها والموضع نفسه.

⁽³⁾ عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، ت، مصطفى السقا مطبعة بابي الحلبي وأولاده - مصر، ط 6 سنة 1981 م، ج 1 ص 46 - 84.

يقول: " والواقع أن لفظ الهمز ليس في أصله علما على صوت من أصوات اللغة إنما هو وصف لكيفية نطقية لا تختص في ذاتها بصوت معين، ثم غلب إطلاقه على الصوت المعروف و الذي كان يسمى من قبل " ألفا " ⁽¹⁾، ويقول في موضع آخر: " فهو - أي الهمز - كيفية في أداء الكلام، وبعبارة أدق: كيفية في نطق الحروف أو الأصوات اللغوية، حيث يخصها الناطق بمزيد من التحقيق أو الضغط، لا يستأثر بذلك حرف دون آخر، فإذا ضغط الناطق على مقطع الخاء في الفعل (أخذه) كانت الخاء مهموزة، وإذا ضغط على مقطع الذال كانت مهموزة وكذلك إذا ضغط على مقطع الألف في بدايته كانت الألف مهموزة" ⁽²⁾.

وقد استعان **عبد الصبور شاهين** للدلالة على مذهبه على الترادف اللغوي الكائن بين لفظ الهمز والنبر والضغط من جهة، وحادثة تسمية الهمزة بالهمزة وانعدام صورتها في الخط العربي القديم ⁽³⁾.

ولعل المذهب الأول هو الراجح للاعتبارات الآتية:

- الاختلاف البين بين الهمزة و الألف مخرجا وصفة وحركة، فمخرج الألف الجوف وهو _ مخرج حروف المد الثلاثة، أما مخرج الهمزة فأقصى الحلق كما تقدم، وتختلف الهمزة عن الألف كون الأولى شديدة والثانية

⁽¹⁾ عبد الصبور شاهين، القراءات في ضوء علم اللغة الحديث، ص 15.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 21.

⁽³⁾ المرجع نفسه، والصفحة نفسها، 16.

رخوية كما أن الهمزة تسكن وتتحرك بالحركات الثلاث القصيرة والطويلة في حين تلزم الألف حال السكون.

- جعل الألف والهمزة حرفا واحد وتعليله بكون الأولى صورة للثانية في الخط العربي القديم عموما والرسم العثماني خصوصا؛ مدفوع بكون العرب أهل بلاغة وبيان وليس أهل كتابة وتدوين وقد كانت غالبيتهم أمية كما أنهم يرسمون الكثير من الحروف المختلفة مخرجا وصفة برسم واحد نحو: (الباء - التاء - الياء - النون)، و (السين - الشين) و (الصاد - الضاد)، و (الطاء - الظاء)، و (العين - الغين)، و (الفاء - القاف)، فهل يصح أن نجعل تلك الحروف المتحدة رسما جميعا حرفا واحد ؟ ثم إن اللغة تسبق التدوين فيحدث أن توجد أصوات أو ظواهر صوتية تعجز الكتابة عن تسجيلها.

ولمكي بن أبي طالب تعليل رائع لغياب صورة الهمزة في الخط العربي القديم، إذ يقول: " وإنما لم تكن لها صورة كسائر الحروف، لأن الهمزة حرف ثقيل، فغيرته العرب لثقله، وتصرفت فيه ما لم تتصرف في غيره من الحروف، فأنتت به على سبعة أوجه مستعملة في القرآن والكلام، جاءت به محققا ومخففا، ومبدلا بغيره، وملقى حركته على ما قبله ومحذوفا، ومثبتا، ومسهلا بين حركته والحرف الذي منه حركته. فلما لم تثبت الهمزة في كلام العرب على لفظ واحد، كما تثبتت كل الحروف، وغيّرت هذا التغيير المذكور دون سائر الحروف، لم يكن لها صورة ثابتة في الخط غير مختلفة كما لم تثبت هي في

اللفظ على سنن واحد. وإنما استعير لها صورة الألف والياء والواو دون صورة غيرها من الحروف، لأن الهمزة مؤاخية لهن، إذ يبدلن منها في كثير من الكلام، تقول: رأس ويؤس ويئر، فإذا خففت الهمزة أبدلت منها حرفاً من جنس الحركة التي قبلها، تبدل أبداً في الساكنة مع الفتح ألفاً، ومع الضم واواً، ومع الكسر ياء، فتقول: رأس ويوس ويير. وتبدل هي بهن أيضاً في كثير من الكلام نحو قولك: شفاء، الهمزة بدل من ياء، لأنه فعال من شفى يشفي، وتقول: كساء الهمزة بدل من واو لانه فعال من كسا يكسو، وتقول: رسائل، الهمزة بدل من ألف زائدة، لأنه جمع رسالة، فاعرف ذلك من حكم هذه الحروف وصورها وعللها⁽¹⁾.

- وإن كانت الهمزة مجرد صفة كالإمالة والتفخيم فعند إبدالها حرفاً آخر - واو أو ياء - نحو: "مِنَ الشُّهَدَاءِ يَنْ نَضِلُّ" سورة البقرة من الآية 282، و"وَيَا سَمَاءُ وَقُلْعِي" سورة هود من الآية 44، نكون في هذه الحال قد أبدلنا صفة بحرف، وهل يصح أو يتأتى ذلك؟ وهل تتفك الصفة عن الموصوف؟ أي هل توجد صفة حرف من غير حرف أساساً؟ اللهم إلا عند إخفاء النون الساكنة أو التثوين وفي بعض حالات الإدغام.

⁽¹⁾ مكى، الرعاية، ص 25 - 26.

وإن صح اعتبار الهمزة صفة نطقية لا حرفا وجاز ذلك عند وقوعها وسط أو آخر الكلمة، فهل يصح اعتبارها كذلك عند وقوعها بداية الكلمة نحو أمة، أم، أمل...؟

- اعتبار الهمزة والألف حرفا واحدا اعتمادا على أن اسم الألف أوله همزة مدفوع بكون الألف لا يمكن النطق بها إلا مقرونة مع غيرها، فجعل اسمها كذلك مقرونا مع غيره⁽¹⁾. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لِمَ لَمْ تجعل الهمزة والهاء حرفا واحدا، لأن الهاء أول اسم الهمزة ؟

- اختلاف الاسم يقتضي اختلاف المسمى بمعنى أنه إذا اجتمعت الألف والهمزة في كلمة سمينا كل حرف باسمه فمثلا كلمة " ماء " قلنا أنها مكونة من ثلاثة حروف: الميم والألف والهمزة، ولو كانتا حرفا واحدا لقلنا: الميم وألفان الأولى ساكنة والثانية متحركة.

ومكي بن أبي طالب من أصحاب المذهب الأول، يتضح ذلك من عدّة الحروف عنده، فهي عنده تسعة وعشرون حرفا - بعدّ الهمزة، ومن دونها تكون العدد ثمانية وعشرون حرفا -، إذ يقول: " الحروف التي يؤلف منها الكلام تسعة وعشرون حرفا"⁽²⁾.

⁽¹⁾ علي بن محمد النوري الصفاقسي، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت- لبنان، ط 1 سنة 1407 هـ / 1987 م، ص 32.

⁽²⁾ مكي، الرعاية، ص 24.

وهو بهذا يؤكد امتلاكه الذائقة الصوتية الدقيقة التي مكنته من التمييز بين الهمزة والألف، بل إنه استطاع أن يعلل غياب صورة الهمزة، وقد تقدم كلامه في ذلك.

ثامنا: بيان حال الحرف من حيث الحركة والسكون، ونسبة ذلك في العربية

ذكر مكي بن أبي طالب أن الحرف يكون ساكنا ومتحركا، كما ذكر رحمه الله تعالى، أن الحركة في اللغة العربية أكثر من السكون، قال رحمه الله تعالى: " واعلم أنه يكون كل حرف منها ساكنا ومتحركا، إلا الألف فإنها لا تكون إلا ساكنة أبدا "(1)، وقال في موضع آخر: " الكلام كله ألف من أربعة أشياء: من حرف متحرك ومن حرف ساكن ومن حركة ومن سكون، وذلك يرجع إلى شيئين: حرف متحرك وحرف ساكن، والحرف المتحرك في كلام العرب أكثر من الساكن "(2)، ولا يكتف مكي بذكر نسبة الحركة في العربية فحسب، وإنما يعلل ذلك بقوله: " وإنما كان الحرف المتحرك في الكلام أكثر من الساكن، لأنك لا تبتدئ إلا بمتحرك، وقد يتصل به حرف متحرك وآخر بعد ذلك متحرك، ولا يجوز أن يبتدأ بساكن، ولا أن يتصل ساكن بساكن أبدا، إلا أن يكون الأول حرف مد ولين، أو يكون الثاني سكن للوقف "(3). وقوله: " ولا يجوز أن يبتدئ بساكن، ولا أن يتصل ساكن بساكن أبدا"، إطلاق قيده بقوله: "إلا أن يكون الأول حرف مد ولين، أو يكون الثاني سكن

(1) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(2) المرجع نفسه، ص 27.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

للووقف"، فذكر حالتين اثنتين، والواقع أن العرب تجمع بين الساكنين في غيرهما، لكن في النادر جدا، ومنه قولهم: "نَعْمًا" بتسكين العين، وميم ساكنة بعدها، وبذلك قرأ قالون عن نافع، وأبو عمرو، واجتمع الساكنان في الإدغام الكبير عند أبي عمرو، إذا سبق الحرف المدغم بساكن صحيح، نحو: "شَهْرُ رَمَضَانَ"، "الرُّعْبُ بِمًا"، واجتمع الساكنان، كذلك في أسماء الحروف نحو: قاف، صاد، نون..

تاسعا: الدلالة على العلاقة بين الصوامت والصوائت، وأيهما أسبق ؟

شغل القدامى مسألة الحروف والحركات، وتعبير المحدثين الصوامت والصوائت، وأيهما سبق الآخر ؟ فمنهم من قدم الحروف على الحركات، ومنهم من أخرها، ومنهم من لم يقدم أحدهما على الآخر، وهو الرأي الذي ما إليه مكِّي، ورجحه - مدعما بجملة من الحجج -، بعد إيراده الآراء جميعها، مع أدلتها، والاعتراضات عليها، وردودها، قال رحمه الله تعالى: "اختلف النحويون وأهل النظر في الحرف والحركة أيهما قبل الآخر ؟ أولم يسبق أحدهما الآخر في قوة النظر ؟ فقال جماعة: الحروف قبل الحركات، واستدلوا على ذلك بعلل منها: ... وقال قوم: الحروف بعد الحركات، والحركات أول... وقال جماعة: الحروف والحركات لم يسبق أحدهما الآخر في الاستعمال..."⁽¹⁾، وبعد أن ساق أدلة كل فريق، انتصر للرأي الأخير مقدما حججه، وأنهى بقوله: "فإن الكلام إنما جيء به

⁽¹⁾ الرعاية، مكِّي، ص 28.

لتفهم المعاني التي في نفس المتكلم، وبالحركات واختلافها تفهم المعاني فهي منوطة بالكلام مرتبطة به ونيطت به، إذ بها نفرق بين المعاني التي من أجلها جيء بالكلام وهذا القول أولى من غيره⁽¹⁾.

وهكذا فواضح جدا كيف أنهم كانوا يحللون ويعللون ويحتجون ثم يرجحون.

وهو - مكي - بهذا المسلك يحض على منهج في الحياة - عامة - وفي الدرس - خاصة -، قائم على قوة النظر، وبسُط الآراء في المسألة، ومحاولة مناقشة أدلتها، وانتخاب الرأي الذي يظهر أنه أصوب من غيره. وهو منهج علمي موضوعي يسهم في الاقتراب من الحقيقة العلمية، وينأى عن التعصب، وادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة. وهو بذلك يرسم منهج العالم الرباني، الذي يجعل طلب الحقيقة همّه، من دون أن يبخس الناس أشياءهم، فهو يعرض الرأي المخالف مع أدلته وحججه كاملة، ثم يرد ما أمكنه رده، بعيدا عن الانتصار للذات.

عاشرا: اتباع المنهج المقارن الداخلي والخارجي في دراسة الأصوات

قدم مكي بن أبي طالب دراسة وافية لأصوات العربية، مبينا مخارجها وصفاتها، ومراتبها قوة وضعفا، وقارن الأصوات بعضها ببعض، وقارنها بلغات الأعاجم، وهوما يسمى بالمنهج المقارن الداخلي والخارجي، قال رحمه الله تعالى: " فأذكر الحروف واحدا بعد واحد على رتبة المخارج مع جملة من صفته، ثم نذكر مع كل حرف ألفاظا من كتاب الله تعالى - جل ذكره - تنبه على تجويد لفظ ذلك

⁽¹⁾ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

الحرف فيها وفي مثلها مما وقع ذلك الحرف فيها مقارنا لغيره ⁽¹⁾، وزاد في موضع آخر: "اعلم أن الحروف التسعة والعشرين المشهورة، قد اشتركت في استعمالها لغات العرب ولغات العجم، إلا الظاء فإنها للعرب خاصة، ليس في لغات العجم ظاء [...] وانفردت العرب أيضا باستعمال الهمزة متوسطة ومتطرفة، ولم يستعمل ذلك العجم إلا في أول الكلام" ⁽²⁾.

المطلب الثالث: إسهامات مكّي بن أبي طالب في الدرس القرائي

جمع مكّي بن أبي طالب بين التأليف في القراءات، والتوجيه لها، وهو بذلك جمع بين علمي الرواية والدراية، له في الأول كتاب التبصرة في القراءات السبع، وله في الثاني كتاب "الكشف"، وكل من الكتابين يعد إماما في بابه، ويمكن بيان إسهامه في الدرس القرائي في الآتي:

أولا: تقديم رأي وجيه في بيان المراد بالأحرف السبعة

اختلف العلماء اختلافا عظيما في بيان المراد من الأحرف السبعة على أربعين قولاً ⁽³⁾ أو تزيد ⁽¹⁾؛ إلا أنه وبدقيق النظر نجد أن أكثر تلك الأقوال يتداخل ويتكرر، ويمكن اختصارها في ثلاثة أقوال هي:

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 4.

⁽²⁾ مكّي، الرعاية، ص 35.

⁽³⁾ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت - لبنان، د ط سنة 1408 هـ/1988م، ج 1 ص 49.

القول الأول:

إن المراد بالأحرف السبعة هو وجوه التغيرات السبعة التي يقع فيها الاختلاف أي أن الكلام لا يخرج عن سبعة في الاختلاف، وإلى هذا ذهب مكي بن أبي طالب⁽²⁾ وأبو عمرو الداني⁽³⁾ وابن الجزري⁽⁴⁾ وآخرون.

وخلاصة هذا المذهب أن الأحرف السبعة هي أوجه الاختلاف السبعة التي لا يوجد غيرها وهي:

- الاختلاف في تصريف الأسماء أفرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا.
- الاختلاف في تصريف الأفعال غيبا وخطابا ومضيا وأمرا واستقبالا.
- الاختلاف في الوجوه الإعرابية.

⁽¹⁾ عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية، تاريخها - ثبوتها - حقيتها - وأحكامها، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان، ط1 سنة 1999م، ص 104.

⁽²⁾ مكي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تح، محيي الدين رمضان، دار المأمون للتراث دمشق - سوريا، ط1 سنة 1399 هـ / 1979 م، ص 53.

⁽³⁾ عثمان بن سعيد الداني، المفردات السبع، مكتبة القرآن، د ط د ت، ص 4، عثمان بن سعيد الداني، جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، تح، محمد كمال عتيق، مطابع مديرية النشر أنقرة - تركيا، ط 1 سنة 1420 هـ / 1999 م. وينبه إلى أن مكيا بن أبي طالب وأبا عمرو الداني جمعا قولين في قول، فهما يقولان بأن الأحرف هي اللغات ثم يفصلان فيما يمكن الاختلاف بين تلك اللغات وأنها أوجه التغيرات في الكلام التي لا تخرج عن سبع، وبهذا يكون رأيهما الرأي الذي وفق بين رأيين وهو الأفضل لتجلية حقيقة الأحرف السبع، والله تعالى أعلى وأعلم.

⁽⁴⁾ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، قدم له علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 2 سنة 1423 هـ / 2002 م، ج 1 ص 28.

- الاختلاف بالزيادة والنقصان.
- الاختلاف بالتقديم والتأخير.
- الاختلاف بإبدال حرف بآخر أو كلمة بأخرى.
- الاختلاف اللهجي فتحة وإمالة؛ ترقيقا وتثقيما؛ تحقيقا وتسهيلا؛ إظهارا وإدغاما...

القول الثاني:

إن الأحرف السبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل وعجل وأسرع، وهو مذهب ابن جرير الطبري⁽¹⁾ والقرطبي⁽²⁾ وغيرهما.

القول الثالث:

الأحرف السبعة هي لغات سبع مفرقة في القرآن الكريم، وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلام⁽³⁾؛ وابن عطية⁽⁴⁾ وآخرين.

⁽¹⁾ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تح أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، د ن، ط 1 سنة 1420 هـ / 2000 م، ج 1 ص 57 _ 58.

⁽²⁾ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 5 سنة 1417 هـ / 1996 م، ج 1 ص 32.

⁽³⁾ أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص 203.

⁽⁴⁾ ابن عطية، مقدمتان في علوم القرآن، مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية؛ تصحيح آرثر جفري، مكتبة الخانجي القاهرة - مصر، ط 2 سنة 1392 هـ / 1972 م، ص 264 وما بعدها.

❖ مناقشة الأقوال

القول الأول:

لقي مذهب ابن الجزري وغيره الانتقادات الآتية ⁽¹⁾:

- 1- مذهبهم هذا لا ينهض أمام الأدلة باختلاف الألفاظ مع اتفاق المعاني.
- 2- بعض الاختلاف المذكور راجع إلى شكل الكلمة أو كيفية الأداء مما لا يقع به التباير في اللفظ كاختلاف الإعراب والتصريف والترقيق وغيرها.
- 3- بعض للاختلاف المذكور بروايات الآحاد والقرآن لا يكون إلا متواترا.

القول الثاني:

أما مذهب الطبري ومن تبعه فقد استدرك عليه بما يلي ⁽²⁾:

- ما جاء من القرآن لكريم مقروءً على سبعة أوجه قليل نحو: "عبد الطاغوت" و"أف".

⁽¹⁾ حسن ضياء الدين عنز، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، دار البشائر الإسلامية بيروت - لبنان، ط1 سنة 1409 هـ / 1988 م، ص 166 - 167، ومناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ط34 سنة 1418 هـ / 1998 م، ص 165 - 166 وعبد الحليم قابة، القراءات القرآنية، ص 125.

⁽²⁾ عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية، ص112 و رمضان يخلف، نزول القرآن على سبعة أحرف ومذاهب العلماء في تفسيرها، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية؛ العدد 9 ربيع الأول 1422هـ/ جويلية 2001 م، ص 10.

- لجأ الطبري للدفاع عن مذهبه إلى سؤالين افتراضيين وأجاب عنهما أيضا بجواب افتراضي لا دليل عليه وهذا فيما يخص ذهاب الأحرف الستة وبقاء حرف واحد.
- بماذا يمكن تفسير بقية الاختلافات بين القراءات غير ما يتعلق بالمرادفات وهي كثيرة جدا ؟
- إن التيسير الذي أريد للأمة بالأحرف لا يتحقق فقط بإبدال كلمة مكان أخرى تغايرها في الصورة وتوافقها في المعنى.
- إن ما ورد من الأحاديث مما يفيد البيان بأن الأحرف هي ألفاظ متفقة المعنى مختلفة المبنى؛ إنما كان على سبيل المثال لا الحصر.

القول الثالث:

- وأما مذهب ابن سلام ومن وافقه فقد اعترض عليه بما يلي:
- في القرآن الكريم من الألفاظ ما ينسب لأربعين قبيلة وهوما ينسف القول باللغات السبع⁽¹⁾.
- اعترض عمر بن الخطاب على قراءة هشام بن حكيم رضي الله عنهما والاثنتان من قبيلة واحدة - قريش - ولغتهما واحدة! مما يؤكد أن الاختلاف ليس محصورا في اللغات.

⁽¹⁾ رمضان يخلف، نزول القرآن على سبعة أحرف، ص5.

❖ القول المختار:

بناء على ما تقدم من بيان الأقوال ومناقشتها فإن القول الذي يظهر رجحانه - والله أعلم - هو القول الأول وذلك للاعتبارات الآتية:

- إن تفسير الأحرف بالأوجه موافق للغة وعليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَغْبُذُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ سورة الحج من الآية 11، أي على وجه واحد.
- إنه المذهب الذي تظهر فيه مظاهر التيسير أكثر من غيره وهي الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف⁽¹⁾.

- إنه المذهب الذي اعتمد الاستقراء التام للقراءات المتواترة والشاذة⁽²⁾ - كما صرح ابن الجزري -⁽³⁾ والاستقراء أحد المناهج العلمية المعتمدة للوصول إلى الحقيقة.

- إنه المذهب الذي اعتمد الاستقراء التام للقراءات المتواترة والشاذة⁽⁴⁾ - كما صرح ابن الجزري -⁽⁵⁾ والاستقراء أحد المناهج العلمية المعتمدة للوصول إلى الحقيقة.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 14.

⁽²⁾ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

⁽³⁾ ابن الجزري، النشر، ج 1 ص 28.

⁽⁴⁾ ابن الجزري، النشر، ج 1 ص 28.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

- إنه القول الذي يستوعب جميع الاختلافات الكائنة بين القراءات والتي لا يمكن تفسيرها خارج إطار الأحرف السبعة.

- إنه القول الذي يحتوي غيره من الأقوال⁽¹⁾ - مذهب الطبري وابن سلام- ويزيد عليها بما يكمل الصورة ويجليها.

- إنه القول الذي أحجم الطبري عن مناقشته في حين ناقش غيره من الأقوال قولاً قولاً وذلك محمول على أنه لم يجد ما يرده أو أن هذا القول لم يكن من الجلاء بحيث تظهر قوته ورجحانه⁽²⁾.

- وأما الانتقادات التي وجهت لهذا المذهب فيمكن ردها بما يأتي:

أ- إن القول بأن هذا المذهب لا يقوم أمام الأدلة التي تقيد بأن الأحرف هي اختلاف الألفاظ مع اتحاد المعنى فمردود بأن المراد من ذلك المثال لا الحصر.

ب- وأما القول بأن جل ما ذكر من الاختلافات المذكورة عائد إلى كيفية النطق بالكلمة وهذا مما لا يقع به التباين فمدفوع بأن الاختلاف في اللفظ بالكلمة الواحدة هو تباين معتبر، وبعض ذلك التباين كان سبباً كافياً

⁽¹⁾ رابح دفرور، قراءة نافع وآثارها في الدراسات اللغوية والتفسيرية، - رسالة ماجستير - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة - الجزائر، سنة 1995 - 1996 م، ص 13.

⁽²⁾ رمضان يخلف، نزول القرآن على سبعة أحرف، ص 12.

لاعتراض الصحابة بعضهم على بعض، ومنهم من اعترض على مجرد
إنقاص المد في الكلمة.

ج- والقول بأنه استدل في هذا المذهب على أوجه الخلاف بقراءات الآحاد
فمردود بأمرين:

الأول: الأمثلة التي سيقت للدلالة على أوجه الاختلاف تعددت بين القراءات
المتواترة والآحاد ومع ذلك يمكن الاختصار على المتواترة فقط.

الثاني: لقد صح الاحتجاج بقراءات الآحاد في استنباط الأحكام الشرعية -على
خلاف بين العلماء في المسألة- وذلك مما ينبغي عليه عمل وجزاء، فكيف لا
يستفاد منها في بيان المراد من حديث تهرب البعض من الخوض فيه بدعوى أنه
مشكل أو متشابه.

هذا ويُلاحظُ أن مكيا بن أبي طالب، - وتبعه أبو عمرو الداني - جمع
قولين في قول، فهما يقولان بأن الأحرف هي اللغات ثم يفصلان فيما يكمن
الاختلاف بين تلك اللغات وأنها أوجه التغاير في الكلام التي لا تخرج عن سبع،
وبهذا يكون رأيهما الرأي الذي وفق بين رأيين وهو الأفضل لتجلية حقيقة الأحرف
السبع.

قال مكى رحمه الله تعالى: " والذي نعتقده في ذلك، ونقول به، وهو الصواب إن
شاء الله: أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن: هي لغات متفرقة في القرآن،
ومعان في ألفاظ تسمع في القراءة: مختلفة في السمع متفقة في المعنى. ومختلفة

في السمع وفي المعنى. نحو: تبديل كلمة في موضع أخرى وصورة الخط متفقة، أو مختلفة نحو: يَسِيرُكُمْ، وَيَنْشُرُكُمْ. ونحو: صيحة وزقية وزيادة كلمة ونقص أخرى. وزيادة حرف ونقص آخر. وتغيير حركات في موضع حركات آخر. وإسكان حركة.

وتشديد، وتخفيف. وتقديم، وتأخير⁽¹⁾.

ثانيا: التأسيس للاحتجاج للقراءات المتواترة صوتيا وصرفيا ونحويا ولغويا وبلاغيا

لمكي بن أبي طالب مُكَنَّة علمية، استطاع بها الوقوف على دقائق المسائل في اللغة والقراءات والتجويد، بل إنه استطاع أن يلحظ الفرق بين العلوم وإن كان بها تداخل كبير، فهو الذي ألف التبصرة في القراءات السبع، وهو كتاب في أحكام القراءات السبع المعروفة، وهو الذي ألف كتابي الكشف والرعاية، والأول في القراءات، والثاني في الاحتجاج لها، والثالث في التجويد.

وهو إذ جعل التبصرة لأحكام القراءات خالصة، وعد بتأليف كتاب مفتاح له، فكان الكشف من أجل كتب الاحتجاج للقراءات، وهو كتاب إمام في بابيه، قال رحمه الله تعالى: "كنت قد ألفت كتابا بالمشرق كتابا مختصرا في القراءات السبع في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وسميته "كتاب التبصرة" فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحوفي القراءات

⁽¹⁾ مكي، الإبانة، ص 53.

واللغات طلبا للتسهيل، وحرصا على التخفيف، ووعدت في صدره أني سأؤلف كتابا في علل القراءات التي ذكرتها في ذلك الكتاب⁽¹⁾، ولقد وعد وَوَفَى وَوَفَى. وقال رحمه الله تعالى بخصوص الرعاية: " فمن ائتم بكتابي هذا في تجويد ألفاظه وتحقيق تلاوته، ممن سلم من اللحن والخطأ، وضبط روايته التي يقرأ بها، قام له هذا الكتاب على تقادم الأعصار ومرور الأزمان مقام المقرئ الناقد البصير الماهر النحرير⁽²⁾ ".
النحير⁽²⁾.

وقال مبينا الفرق بين تلك الكتب: " فتلك كتب رواية، وهذا كتاب دراية⁽³⁾ ".
وإن كان لمكي بن أبي طالب، فضل السبق في التأليف في التجويد

مستقلا، فإن له فضل السبق في التأسيس لعلم الاحتجاج للقراءات المتواترة، وآراؤه المبنوثة في الكشف، دالة على رسوخ قدم الرجل في علوم شتى.

وإنه لما تعذر - لضيق الوقت -، تتبع كل ذلك، فإنني ارتأيت أن أعرض - فيما يأتي - بعضا منها، لتكون شاهدة له على ذلك، فاتحة لشهية التوسع في الاطلاع.

❖ نماذج مختارة من توجيهاته القرائية

التوجيه الصوتي:

لمكي بن أبي طالب توجيهات صوتية للقراءات المتواترة، ومن ذلك:

⁽¹⁾ مكي، الكشف، ج 1 ص 3-4.

⁽²⁾ مكي، الرعاية، ص 5، و مكي، الكشف، ج 1 ص 6.

⁽³⁾ مكي، الرعاية، ص 105.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَفْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ سورة النساء الآية 94.

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب⁽¹⁾
" فتبينوا " بالباء والياء والنون، وقرأ الباقر⁽²⁾ " فتثبتوا " بئاء مثثلة بعدها باء
موحدة بعدها تاء مثناة⁽³⁾.

والقراءة الأولى: من التبيين وهو شدة طلب البيان أي التأمل القوي حسبما تقتضيه
صيغة التفعّل⁽⁴⁾، والمعنى إفراغ الوسع والكشف عن حال المرء من الدين حتى
يظهر قبل البطش به⁽⁵⁾.

التوجيه الصرفي:

لمكي بن أبي طالب توجيهات صرفية للقراءات المتواترة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ سورة النساء من الآية 94.

⁽¹⁾ الأصبهاني، المبسوط، ص 103.

⁽²⁾ حمزة والكسائي وخلف. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

⁽³⁾ ورد لفظ " فتثبتوا " في الكتاب العزيز في ثلاثة مواضع اثنان منهما في الآية المذكورة، والثالث في سورة الحجرات الآية 6، وقرأها القراء جميعا بالكيفية المبينة أعلاه.

⁽⁴⁾ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 5 ص 167.

⁽⁵⁾ مكي، الكشف، ج 1 ص 394.

في الآية قراءتان "فتبينوا" بالباء والياء والنون، و"فتثبتوا" بثاء مثلثة بعدها باء موحدة بعدها تاء مثناة.

والقراءة الأولى: من التبيين وهو شدة طلب البيان أي التأمل القوي حسبما تقتضيه صيغة التفعّل⁽¹⁾، والمعنى إفراغ الوسع والكشف عن حال المرء من الدين حتى يظهر قبل البطش به⁽²⁾.

التوجيه النحوي:

ولمكي أيضاً توجيهات نحوية، علل بها بعض القراءات المتواترة منها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ سورة النساء الآية 124.

إذ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة عاصم أبو جعفر ويعقوب⁽³⁾ " يَدْخُلُونَ" بضم الياء وفتح الخاء وقرأ الباقر⁽⁴⁾ "يَدْخُلُونَ" بفتح الياء وضم الخاء. فأما القراءة الأخيرة فعلى إسناد الفعل إلى الداخلين لأنهم هم الداخلون بأمر الله لهم⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 5 ص 167.

⁽²⁾ مكي، الكشف، ج 1 ص 394.

⁽³⁾ الأصبهاني، المبسوط، ص 103.

⁽⁴⁾ نافع ابن عامر حمزة الكسائي وخلف. المصدر نفسه، والصفحة نفسها، وكذلك قرئ حرفاً: سورة مريم

الآية 60 وسورة غافر الآية 40.

⁽⁵⁾ مكي، الكشف، ج 1 ص 397.

وأما القراءة بضم الياء وفتح الخاء فعلى بناء الفعل للذي لم يسم فاعله،
لأنهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله إياها (1).

خاتمة:

هذا، وقد انتهى المقال إلى:

- تأكيد مكانة علماء المغرب العلمية.
- تأكيد إمامة مكي العلمية، التي كانت نتاج جدّ واجتهاد.
- ألف مكي في القراءات القرآنية، رواية، ودراية (توجيهها صوتيا، وصرفيا، ونحويا، وداليا)، وفي الدرس الصوتي العربي، وهو بذلك، يكون قد جمع بين علوم اللغة والدراسات القرآنية، على أجمل، وأكمل ما يكون الجمع.
- لمكي بن أبي طالب ذائقة علمية دقيقة؛ مكنته من إدراك طبيعة العلوم، ولحظ المتشابه والمختلف منها، ومن ذلك إدراكه الفرق بين علمي القراءات والتجويد، - وقليل من يفرق بينهما -.

- لدى القراء واللغويين القدامى (ومنهم مكي بن أبي طالب)، حس صوتي مميز مكنهم من رصد الظواهر اللغوية ووصفها وتحديدتها ووضع مصطلحاتها بدقة، على الرغم من افتقارهم إلى أجهزة البحث والكشف الحديثة مما يجعل السير على خطاهم بتبصر في الدرس الصوتي مقدما على الجري خلف الأبحاث الغربية الحديثة والتأثر المطلق بما تقدمه؛

(1) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

وعدم الانبهار بتقنياتها المتطورة، ثم إن الحقيقة العلمية قد تضيع بين مصطلحات الترجمة المتباينة.

- جمع مكي بن أبي طالب بين القوة في النظر، والاستقامة في الدين والخلق، وهو المطلوب في كل ذي علم، إذ لا خير في معرفة مفرغة من القيم.
- أسهم مكي في إثراء الدرس الصوتي بالمصطلحات الصوتية، والتعليقات العلمية الوجيزة الدقيقة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم

- المصحف الرقمي، برواية حفص عن عاصم، بالعد الكوفي، وعدد الآي على طريقته ست وثلاثون ومائتان وستة آلاف آية (6236).

ثانياً: الكتب

1- أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، ت، جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث طنطا - مصر د ط سنة 1424 هـ / 2003م.

2- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت - لبنان؛ د ط سنة 1408 هـ/ 1988م.

3- حسن ضياء الدين عنز، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، دار البشائر الإسلامية بيروت - لبنان، ط1 سنة 1409 هـ / 1988 م.

4- عبد الحق بن عطية، مقدمتان في علوم القرآن، مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية؛ تصحيح آرثر جفري، مكتبة الخانجي القاهرة - مصر، ط 2 سنة 1392 هـ / 1972 م.

5- عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية، تاريخها - ثبوتها - حجيتها - وأحكامها، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان، ط1 سنة 1999م.

- 6- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي القاهرة - مصر، د ط د ت.
- 7- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة النافذة، ودار طيبة للطباعة الجيزة _ مصر، ط 1 سنة 2008 م.
- 8- عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح، مصطفى السقا مطبعة بابي الحلبي وأولاده - مصر، ط 6 سنة 1981 م.
- 9- عثمان بن سعيد الداني، المفردات السبع، مكتبة القرآن، د ط د ت.
- 10- عثمان بن سعيد الداني، جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، ت، محمد كمال عتيك، مطابع مديرية النشر أنقرة - تركيا، ط 1 سنة 1420 هـ / 1999 م.
- 11- علي بن محمد النوري الصفاقسي، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت- لبنان، ط 1 سنة 1407 هـ / 1987 م.
- 12- القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تح، وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة الأولى 1411 هـ / 1991 م.
- 13- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر؛ ط د م سنة 1405 هـ / 1984 م.

- 14- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 5 سنة 1417 هـ / 1996 م.
- 15- محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، قدم له علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 2 سنة 1423 هـ / 2002 م.
- 16- محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان؛ ط 3 سنة 1402 هـ / 1982 م.
- 17- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تح، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، د ن، ط 1 سنة 1420 هـ / 2000 م.
- 18- محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان، د ط د ت.
- 19- مكّي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، دار الصحابة للتراث، طنطا _ مصر، ط سنة 1422 هـ / 2002 م.
- 20- مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، تح، محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ط 5 سنة 1418 هـ / 1997 م.
- 21- مكّي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تح، محيي الدين رمضان، دار المأمون للتراث دمشق - سوريا، ط 1 سنة 1399 هـ / 1979 م.
- 22- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ط 34 سنة 1418 هـ / 1998 م.